تطور المعجم اللغوي العربي – دراسة في التأصيل والمواكبة

إعداد

الأستاذ المساعد الدكتور / جهاد عبد القادر نصار

أستاذ علوم اللغة والعروض

جامعة الأقصى ـ غزة، فلسطين

E- mail : ssar@alaqsa.edu.ps

الملخص

تزامن ظهور المعاجم اللغوية العربية منذ نهاية القرن الهجري الثاني مع مرحلة الرسائل اللغوية بشقيها: الموضوعات الخاصة، والقضايا اللغوية، وكانت – أيضا – زادا تنهل منه المعاجم اللاحقة، وبخاصة معاجم الموضوعات التي أشهرها المخصص لابن سيده، ويعتبر العين أول معجم عربي لغوي لفظي ظهورا، وكانت مبادئه في الترتيب الصوتي والبنائي والتقليبات ملهمة لما بعده من معاجم، تلاه ظهور معاجم الترتيب الألفبائي، وبعض المعاجم التي خلط نظام الأبنية مع الترتيب الألفبائي، ولكن الذي شاع لاحقا المعاجم الألفبائية على أول الأصول وأواخرها، باعتبارها أيسر تناولا من نظام العين، وهذه المعاجم اقتصرت – غالبا – على فصيح اللغة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ولم تلتفت لتطور اللغة، وتفاوتت في تناول الغريب والنادر، ودقة الترتيب الداخلى لمواد اللغة، والاستطراد في الشروحات، والتفسير، والإكثار من حشد الشواهد اللغوية المتنوعة؛ ما دعا المعاجم الحديثة إلى استدراك هذا الأمر لمواكبة لغة العصر، ودقة الترتيب الداخلي، وضبط الاستشهاد اللغوي وفق الحاجة، وتوظيف وسائل الإيضاح بالصور والرسومات، وتعتبر معاجم مجمع اللغة العربية القاهري رائدة في هذا المضمار، وبخاصة المعجمين الوسيط والكبير.

الكلمات المفتاحية: (الألفبائي، الألفاظ ، تطور، الصوتي، المعجم، الموضوعات)

Abstract

Arabic linguistic dictionary evolution- authenticating and convoying study

The appearance of the Arabic linguistic dictionaries since 2nd higri century coincided with the researches in the private linguistics issues and articulated. Also, it became sources for the subsequent dictionaries especially the subject's dictionaries in which "Al Mokhassas" the most famous of it.

"Al Aien" was the first Arabic words dictionary to appear. In which foundation in phonetics and constructional organization was aguidance for the post dictionaries, then appeard alongside some other dictionaries witch mixed the constructional system into the alphabetically- ordered dictionaries. However, what prevailed later was the alphabetically- ordered dictionaries on the first and the last archetypes as they were easier to consider- these dictionaries were repeatedly confined to the linguistic ones till the end of the 4th higri century. They didn't also take heed of language development, and they differed in dealing with the strange unique, the accuracy of the inner organization of language, the digress in explanationed and the overuse of manifold linguistics archetypes which led the new novel dictionaries to keep up with that so as to achieve development and accurate inner organization set up the linguistic archetypes according to the need and employ the aids through pictures and drawings. Cairo Arabic language Academy dictionaries represent the best, especially the medium and the large dictionaries.

key words: (alphabetic, dictionary, evolution, phonetics, subjects, words)

مقدمة

تعد المعاجم اللغوية رافدا هاما من روافد التواصل اللغوي، فهي التي تحفظ الاستعمالات اللغوية في مراحل نمو اللغة المتوالية، وفي شتى مجالات حياتها الأدبية والعلمية والثقافية، بل قد يتعدى الأمر إلى مستوياتها المتعددة الرسمية، واللهجية، مكانا وزمانا.

وعليه ينبغي أن يكون المعجم حافظة لغوية ومرجعا حضاريا، مؤصلا ومفصلا لمراحل حياة اللغة في نموها وتطورها، ومتابعا ومواكبا للحَراك اللغوي في الألفاظ، والتراكيب، والصيغ، والمصطلحات، وأساليب التعبير، بل ويسهم في تحديد مكانة كل هذه المظاهر اللغوية وفق أصول اللغة وقواعدها العامة؛ ليكون عونا للدارسين والباحثين ومستخدمي اللغة، ومسايرا للتعبير عن حاجات العصر ومستجداته.

وعلى هذا الأساس انطلق هذا البحث مؤصلا لبدايات الدرس المعجمي اللغوي العربي من أوليته التاريخية، مرورا بما طرأ على منهجية الدرس والتأليف المعجمي من تحديث وتطوير، موضحا الاتجاهات التي مر بها حتى بداية القرن الحادي والعشرين، وأشهر المؤلفات الممثلة لكل اتجاه، وخصائصها وما لها، وما عليها.

جمع اللغة:

مما لا شك فيه أن الحاجة لفهم القرآن الكريم كان من أهم الأسباب الداعية لظهور باكورة الدراسات اللغوية المهتمة بتجلية دلالة النص القرآني، وكانت نواة لانطلاقة جمع اللغة، ثم تنظيم هذا الجمع في جهود علمية معجمية منظمة.

فقد كان رسول الله – ﷺ– في حياته يفسر للمسلمين ما خفي عليهم من دلالات ألفاظ القرآن الكريم، وبعد وفاته كانوا يلجأون إلى أهل العلم والدراية من الصحابة للغرض نفسه، وكان مرجعهم في التفسير والتأويل ما ورد عن العرب في أدبهم، ومما يؤثر في هذا الشأن نسبة كُتَيِبين لابن عباس في التفسير، وغريب القرآن، على شكل أوراق قليلة العدد، تتتبع بعض ألفاظ القرآن الكريم؛ لإيضاحها وتقريب مدلولها، والجدير ذكره أن تفسير ابن عباس قد أُلحق بإحدى طبعات تفسير الجلالين (بروكلمان، 1983: 4/ 7– 9، وهلال، 1991: 113)، وينقل السيوطي في المزهر نهج التأويل والتفسير عن ابن عباس قوله: "إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب" (السيوطي، 1998: 2/ 261).

ويبدو أن هذا النهج قد نبه لغويي العرب الأوائل إلى أهمية جمع اللغة؛ مما هيأ لظهور الرسائل اللغوية التي تتناول الواحدة منها موضوعا واحدا، وتحشد الألفاظ الخاصة به، إذ يمكن عدها المرجع الأول للعمل المعجمي فيما بعد.

مراحل التأليف المعجمي اللغوي العربي

أولا . مرحلة الرسائل اللغوية:

بدأت هذه المرحلة منذ أول القرن الثاني الهجري بجمع اللغة العربية الفصيحة من القبائل العربية التي سلمت لغتها من شوائب العجمية ويكاد يتفق الباحثون على أن الجمع اللغوي في هذه المرحلة كان ممهدا لظهور المعاجم بصفة عامة (بحيري، 2001: 12)، وهذا لا يعني أنها توقفت بظهور المعاجم المتنوعة – التي سنتناولها لاحقا – بل تزامنت وترافقت في الظهور سويا.

مميزات المرحلة:

تميز الجمع في هذه المرحلة بظهور صنفين من المؤلفات:

- **رسائل الموضوعات الخاصة:** حيث أُلفت مجموعة واسعة من الرسائل اللغوية التي تضم الواحدة منها الألفاظ الخاصة بموضوع معين، دونما ترتيب داخلي دقيق لما تحت ذلك الموضوع من ألفاظ، مع العناية غالبا بتفسيرها، ومن تلك الموضوعات: خلق الإنسان، والإبل، والغنم، والشاء، والخيل، والمطر والبرق، والرعد، والنخل، والكرم، والقوس، والسيف، والمنازل، وغيرها. وهذه المؤلفات تعد النواة الأولى للمعاجم اللغوية، إذ اعتمد عليها مؤلفو المعاجم في حصر المواد اللغوية، وتوثيقها، والاستدلال على صحتها وفصاحتها، وشرحها، والوقوف على دلالتها. وبرز من علماء العربية في هذه المؤلفات: النضر بن شميل (ت: 204هـ)، وقطرب (ت: 206هـ)، وأبو عمرو الشيباني (ت: 206هـ)، والفراء (ت: 207هـ)، وأبو عبيدة (ت: 210هـ) والأصمعي (ت: 215هـ) الذي لم يبقَ من رسائله الكثيرة إلا: الإبل والخيل، والشاء، والوحوش، وخلق الإنسان، والنبات، والشجر، وأبو زيد الأنصاري (ت: 215هـ)، ومن رسائله المتبقية: المطر، والهمز، واللبأ، واللبن، وكتاب النوادر، وابن الأعرابي (ت:231هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت: 255هـ)، وغيرهم (بحيري، 2001: 16- 17، وهلال، 1991: 115).
- **رسائل القضايا اللغوية:** لحظ جامعو اللغة تمايزا لهجيا، واستعماليا في كثير من ألفاظ اللغة، وربما – كذلك – لحظوا خطأً ولحنًا في قياس اسم مفرد، أو مثنى، أو جمع، أو مصدر، أو مشتق من المشتقات، أو تذكير، أو تأنيث، أو مقصور، أو ممدود، أو غيرها من الظواهر اللغوية؛ ما حدا بهم لتخصيص رسائلَ تقتصر الواحدة منها على ظاهرة لغوية، نحو: الهمز، والفرق بين المقصور والممدود، والمذكر والمؤنث، وفعلت وأفعل، والعدد، وأبنية المصادر، والأفعال،

والمشتقات، والأسماء، نحو: رسالة الهمز لأبي زيد الأنصاري (ت: 215هـ)، والمذكر والمؤنث للفراء (ت: 207هـ)، وفعلت وأفعلت للزجاج (ت: 310هـ)، والمقصور والممدود لأبي على القالي (ت: 356هـ).

الخصائص العامة للرسائل اللغوية:

- نقل اللغة السليمة الفصيحة، من خلال الرحلة إلى البوادي التي تقطنها القبائل الفصيحة، أو الاستماع والأخذ عن الوافدين من البوادي ممن يوثق بفصاحته، إضافة إلى استعانة ما تأخر تاريخا منها بما جاء في المتقدم.
- يغلب على المواد المسجلة في الرسائل توثيقها بلا ترتيب أو تنظيم دقيق، إذ إن الذي يحكم عرض المادة مفردات الموضوع الواحد، دون اعتبارات منهجية دقيقة: كعلاقة الجزء بالكل، أو الشمول، أو الترادف، أو التضاد، أو التدرج، أو غيرها.
- ذكر المفردات في بعض الأحيان بلا شرح أو توضيح، فتتسم بالغموض.
- قد تعالج بعض القضايا اللغوية، مثل: المفرد والمثنى والجمع، والاشتقاق، والتنوع اللهجي.
- رفدها بالشواهد الشعرية والقرآنية، والأقوال والحكم والأمثال، وأحيانا بالحديث الشريف، على تفاوت بينها في كثرة الشواهد أو قلتها، حيث كانت مؤلفات الرسائل المتأخرة أغزر وأكثف.

وهذا شاهد على السمات السابقة من كتاب المقصور والممدود لأبي على القالي (القالي، 1999، 30- 31):

" هذا باب ما جاء من المقصور على مثال فَعَل من الأسماء والصفات:

* والأبا: داء يأخذ المعز في رؤوسها من بول الأروى إذا شمته, ولا يكاد يكون في الضأن, يكتب بالألف لأنه من الواو، ويقال وتَيس آبَى وعنز أَبْواءُ وتيس أب وعنز أبية في تُيوس أُبْوٍ. قال الشاعر لراع له: فقلتُ لكَنّازٍ تركَّلْ فإنَّهُ *** أُباً لا إخالُ الضَّأْنَ منه نواجِيا ...

* والأُنا: جمع أناة وهى التؤدة والانتظار قال كثير:

بِصَبْرٍ وإبْقَاءٍ عَلَى جُلّ قومِكُمْ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ بالأُنا والتحنّنِ

والأناة من النساء: الرزينة البطيئة عن كل خفة, والأنى البطء...

* والأذى: من أذيت به أذى يكتب بالياء, وقال الله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ} (سورة النساء 4/ 102)، وأنشد أحمد بن يحيى ... قالت امرأة من الأعراب:

سَأَلْتكُمَا باللهِ لمَّا جعَلْتُما ... مَكانَ الأَذَى واللَّوْمِ أَنْ تَأْوِيَا لِيَا

* والأسى: الحزن يكتب بالياء لأنه يقال أسى يأسى أسىً, قال امرؤ القيس:

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ ... يقُولون لا تهلكْ أسىً وتجمّلِ "

ثانيا – مرحلة المعاجم التراثية:

تزامن تأليف المعجم اللغوي العربي منذ عهد مبكر مع مرحلة الرسائل، ولعل أول تلك المعاجم سبقا معجم العين للخليل (ت: 170هـ) تلاه مجموعة كثيرة وزاخرة من المعاجم تعددت طرائقها ومناهجها، وما قام عليها من ملخصات، ومستدركات، وتكملات، وتهذيب (هلال، 1991: 122– 126)، فيما يأتي تناول للمناهج المعجمية العربية:

أ. معاجم المعاني:

يطلق على هذا النوع من المعاجم – أيضا – معاجم الموضوعات، وهي تعد المرحلة التالية مباشرة للرسائل اللغوية، إذ إن هذه المعاجم ضمت ما حوته الرسائل من موضوعات جزئية وترتيبها في أبواب محددة، ويمكن القول إن بعض مصنفي الرسائل اللغوية قد بدأ في مرحلة مبكرة، وبالتزامن مع تأليف الرسائل بوضع مصنفات تضم أكثر من موضوع، نحو ما نجده في كتاب الصفات للنضر بن شميل (ت: 203)، الذي يضم موضوعات شتى، منها: خلق الإنسان، وصفات النساء، والكرم والجود، والأخبية والبيوت، وصفة الجبال والشعاب، والإبل والغنم وغيرها (جاد الرب، 1992: 243– 244)، ومثله كتب: الغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني (ت: 206هـ)، الصفات للأصمعي (ت: 215هـ)، والصفات لأبي زيد الأنصاري (ت: 215هـ).

وهذه المعاجم – غالبا – تشتمل على مفردات موضوعاتٍ معينة، فتصنف ألفاظ كل موضوع في قسم خاص بها، وهي تتفاوت في السعة والضيق، فمنها ما يشمل أغلب مفردات اللغة، ومنها ما يحوي مفردات عددٍ من الموضوعات ومن هذه المعاجم (بحيري، 2001: 75، وهلال، 1991: 116): الغريب المصنف: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 244هـ)، والألفاظ: ابن السكيت (ت: 246هـ)، والألفاظ الكتابية: عبد الرحمن الهمذاني (ت: 320هـ)، ومُتخيّر الألفاظ: ابن فارس (ت: 395هـ)، ومبادئ اللغة: الإسكافي (ت: 421هـ)، وفقه اللغة وسرّ العربية: أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، والمخصص في اللغة: ابن سيده (ت: 458هـ)، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفّظ: ابن الأجدابي (ت: 480هـ).

من خصائص هذه المعاجم:

- استيعاب موضوعات كتب الرسائل، أو أكثرها.
- التوسع في الشرح والتفسير، وذكر الشواهد، مع الحرص على إيراد الدلالات المختلفة للألفاظ المنتمية للموضوعات المطروقة، وبيان الفروق الدقيقة بينها.
- إعادة ترتيب المواد اللغوية، وتنسيقها، وتنظيمها، بحيث يسهل الرجوع للألفاظ الخاصة بموضوع بعينه.

وسنمثل لهذه المعاجم، بمعجم المخصص لابن سيده، الذي يعد من أوسع هذه المعاجم الموضوعية، وأشهرها وأهمها:

المخصص لابن سيده:

اشتمل المخصص على واحد عشرين كتابًا، تضمنت ثلاثمائة وأربعين بابا، اشتملت على تسعمائة وستة وعشرين فصلا، أولها كتاب الإنسان ثم الحيوان ثم الطبيعة فالنبات، ولكل كتاب عنوان خاص به مثل: خلق الإنسان، والنساء، واللباس، والطعام، والأمراض، والسلاح، والخيل، والإبل، والغنم، والوحوش، والحشرات، والطير، والسماء، والفلك، ثم ينقسم كل كتاب بدوره إلى أبواب صغيرة، حسبما يقتضيه المقام حرصا على الدقة، ومبالغة في التقصي والتتبع.

فمن أبواب كتاب خلق الإنسان، باب الحمل والولادة، ومن فصوله: (أسماء ما يخرج مع الولد)، و(الرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية)، و(غذاء الولد)، و(أسماء أول أولاد الرجل وآخرهم)، و(أسماء ولد الرجل في الشباب والكبر)، وهكذا، وهذا مثال من هذا الباب (ابن سيده، 1996: 1/ 55- 56):

"(أَسمَاء أول ولد الرجل وَآخرهمْ):

أَبُو عبيد، بِكْرُ أَبَوَيْهِ، أَي أَوْلُهما وَكَذَلِكَ الجاريةُ بِغَيْر هَاء وجمعُها أبكارٌ، قَالَ صَاحب الْعين، بِكْرُ كِلِّ شيءٍ أَوَّلُه وَقد يكون البِكْرُ من الْأَوْلَاد فِي غيرِ الناسِ كَقَوْلِهِم بِكْرُ الحَيَّةِ، وَقَالُوا: أَشَدُّ الناسِ بِكْرُ بِكْرَيْن، أَبُو عبيد، كِبْرَةُ الولدِ وعجزْتُهُم آخِرُهم والمؤنثُ والمذكرُ فِي ذَلِك سواءٌ والجمعُ مثلُ الواحدِ، ابْن دُرَيْد، الجمعُ عِجْزٌ، صَاحب الْعين، ابنُ عِجْزةٍ وابنُ هِرْمَة وَلَدُ الشيخِ، أَبُو عبيد، نُضاضةُ الْوَلَد، آخرهُم ونُضاضةُ الماءِ وغيرِهِ آخِره وبقيتُه ...

(أَسمَاء ولد الرجل فِي الشَّبَاب وَالْبكْر):

أَبُو عبيد، أَرْبَعَ الرجلُ وُلِدَ لَهُ فِي الشَّبابِ ووَلَدُه رِبْعِيُّون وَأنْشد:

إنَّ بنيَّ صِبْيةٌ صَيْفِيُّون *** أَفْلَحَ مَنْ كانَ لَهُ رِبْعِيُّون

أَبُو زيد، أَصَافَ الرجلُ، وُلِدَ لَهُ بُعدَ الكِبَرِ ووَلَدُه صَيْفِيُّون، ابْن دُرَيْد، أَصافَ لم يَتزوَّجْ إلاّ بعدَ الإسْنانِ، صَاحب الْعين، العِجْزةُ وابنُ العِجْزةِ آخِرُ وَلَدِ الشَّيخ ...".

معاجم الموضوعات وعلاقتها بالحقول الدلالية:

ما يحمد لهذه المعاجم – عموما – أنها سبقت نظرية الحقول الدلالية في أساسها القائم على: حصر ألفاظ اللغة وجمعها، وربطها بمجموعات دلالية تشترك معها، وتسهيل الوصول إليها، وهذا يعد في وقته إنجازا علميا وحضاريا يحق للعربية أن تعتز به، **إلا أنه يؤخذ عليها:**

- العلاقة قد توجد وقد تنعدم بين الأبواب في بعض تلك المعاجم، نحو ما نجده في المخصص من ذكر ألفاظ الشجاعة، والجبن وضعف القلب، والحرص والشره، والطمع، واليأس، في باب الخبرة، بعد ضعف الرأي، والسفه والطيش، والجنون (ابن سيده، 1996: 1/ 261- 285) ، ونحو ذكر الأيام والشهور بين أحوال الكواكب والرياح والسحاب (السابق: 1/ 283- 410).
- تناول الموضوع الواحد في أكثر من موضع أو باب، نحو تناول بعض أمراض جسم الإنسان في المخصص في باب الحمل والولادة، كأمراض اللسان والوجه والأسنان، وهذا كله أولى بباب الأمراض (السابق: 1/ 100- 133، و1/ 471- 178).
- جمع المادة وتصنيفها لا يخضع لمنهج واضح، أو علاقة من علاقات الترتيب التي تعتمدها نظرية الحقول الدلالية، كالتدرج، أو الشمول، أو الاقتران الاستعمالي، أو غيرها.
- عدم مراعاة التغيرات الدلالية للألفاظ، بل اعتماد دلالاتها المروية عن العرب الفصاح (ينظر للمزيد: جاد الرب، 1992: 244- 253).

ب. معاجم الألفاظ:

وهي المعاجم التي صنفت على أساس ترتيب مفردات اللغة وَفْقَ طبيعة بنية الألفاظ، بصرف النظر عن دلالاتها ومعانيها العامة والخاصة، وقد تعددت مناهج التصنيف على هذا الأساس، فمنها ما صنف وفق التركيب الصوتي للألفاظ، ومنها ما رتب وفق التركيب الهجائي بحسب أول الأصول، أو آخرها، وفيما يأتي تناول لأصناف هذه المعاجم.

1) معاجم الترتيب الصوتي:

يعد معجم العين للخليل (ت: 170هـ) باكورة هذا المنهج، وأول محاولة لحصر مفردات اللغة العربية، بطريقة شمولية منهجية واضحة، وفق قواعد وأسس مضبوطة، في تلك الفترة الزمنية من أواسط القرن الثاني الهجري، إذ ما زالت حركة جمع اللغة في الرسائل اللغوية في بداياتها – أيضا – وأسهم بهذا التصنيف في وضع أهم أسس العمل المعجمي لما تلاه من أعمال معجمية.

وقد ثار جدال وخلاف بين العلماء حول نسبة كتاب العين للخليل، وطبيعة تدخل تلميذه الليث ابن المظفر (ت: 190هـ) في منهجه ومادته، ومدى تأثر الخليل ببعض الطرق الهندية، وهي أقوال لا طائل بحثيًّا وعلميًّا من ورائها، والراجح من كل ذلك أنه جهد خالص للخليل، ولم يكن لليث فيه إلا إذاعته، وإشهاره، وإكمال بعض مواده التي رسم منهجها الخليل (بحيري، 2001: 255، وهلال، 1991: 136- 142)، وقد اختطّ الخليل للعين طريقةً في ترتيب ألفاظ اللغة لم يُسبق إليها، وهي تدلّ على عبقريةٍ فذّةٍ، فلم يسلك في ترتيب الألفاظ الترتيب الهجائي الألفبائي، وإنما رتبها بحسب المخارج الصوتية، على نسق خاص؛ لا أنفة من الترتيب الهجائي الذي اقترحه

نصر ابن عاصم بعد إعجامه حروف الكتابة العربية، ولا تأثرا بترتيب الهجاء السنسكريتية – كما يرى بعض الباحثين (يعقوب، 1985: 39– 40)– بل هو ابتكار وتنظيم من الخليل برز جليا في تصنيفه الألفاظ في معجم العين وفق ثلاثة أسس، هي المخارج، والبناء التركيبي، والتقليب، وهي على النحو الآتي:

الأساس الأول – ترتيب الحروف وفق مخارجها:

بدأ بأقصى الحروف مخرجاً فجعلها بداية الترتيب فما يليها من جهة الفم حتى انتهى منها جميعاً، ولكنه لم يبدأ بأقصاها مخرجاً وهي الهمزة؛ لعلة عدم ثباتها على صورة واحدة، فهي تُقلب كثيراً إلى أحد حروف العلّة، كما أخّر الهاء لضعفها بعد العين والحاء، فبدأ بحرف العين الذي يخرج من وسط الحلق وبعده الحاء، وهكذا حتى انتهى إلى حروف الشفتين، ثمّ حروف المدّ وبعدها الهمزة، على هذا الترتيب (الخليل، د.ت: 1/ 57– 58): (ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ث ر ل ن ف ب م و ا ي أ)، وتحت كلّ حرفٍ من الحروف وُضعت الكلمات التي تخصّه؛ ولئلا يَحدُثَ تكريرٌ للكلمات فتُذكر في أبواب حروف تالية؛ فقد صُنِّفت كلّ كلمة تحت أقصى حروفها مخرجاً دون النظر إلى موضع الحرف، سواءً كان في بدايتها، أم في وسطها، أم في آخرها، فمثلاً:

(تعب، وعقبى، ومتاع) أوردها في حرف العين لأنه أقصاها مخرجاً، ولا ترد في غيره.

(مزق، قِرمِز، لقاء) أوردها في حرف القاف لأنه أقصاها مخرجاً، ولا ترد في غيره، وهكذا.

الأساس الثاني – التقسيم البنائي وفق الحروف الأصول، عدًّا، ونوعًا:

اعتمد الخليل ترتيب الكلمات تحت الحرف الأقصى مخرجاً بحسب حروفها الأصول، بحذف الزوائد، أو رد المحذوف، وثبت هذا الأصل في معظم المعاجم العربية اللفظية فيما بعد، ووُضعت بالنظر إلى عدد حروفها الأصول، ونوعها من الصحة والاعتلال تحت أبنيتها، ولذا ينقسم الحرف الواحد إلى أبوابٍ تشمل الكلمات مصنّفة بالنظر إلى حروفها الأصلية، والأبواب هي:

باب الثنائي الصحيح: ذكر تحته الكلمات الثنائية نحو: (الشين والقاف) وفيه: شَقَّ، وشقشق، وقشَّ، وقشقش، وما تفرع عنها من مشتقات (السابق: 5/ 6– 8).

باب الثلاثي الصحيح: أورد فيه الكلمات الثلاثيّة دون زوائد، نحو: (الخاء والجيم واللام) وفيه: خجل، وخلج، وجلخ ... ومشتقاتها (السابق: 4/ 160).

باب الثلاثي المعتلّ: ذكر تحته ما فيه حرفان صحيحان وحرف علّة نحو: (باب الشين والطاء و معهما (و ا ي ء) ويرد: شطو، شوط، شيط، طيش، شطء، طشء مستعملات (السابق: 6/ 275 – 277).

باب اللفيف: ذكر تحته ما فيه حرفا علّة، مثل: (الهاء والواو والياء) وفيه: هوي، إيه، ياه، وهي، واه، أها، هاء، أوه، وغيرها من مشتقات وما خالطها من إعلال (الخليل: 4/ 102- 109).

باب الرباعي: ذكر تحته الكلمات الرباعيّة، ففي باب الدال يذكر: فندر، فرند، بندر، إردب، بلدم (السابق: 8/ 103- 104).

باب الخماسي: ذكر تحته الكلمات الخماسيّة، ومنه في باب الجيم: جرنفش، سفرجل، زبرجد (السابق: 6/ 209- 210).

وتقسيم الأبنية السابقة يتكرّر تحت كل حرف من حروف المعجم، إن كانت موجودة ومستعملة فعليا في اللغة، فعلى سبيل المثال في باب (الخاء والقاف والسين) المستعمل منه فقط (خسق): "خَسَقَ السهم يَخْسِقُ خَسْقاً وخُسوقاً، وناقةٌ خَسُوق: سيئة الخُلُق، تَخْسِقُ الأرض بمناسمها، إذا مشت انقلب منسمها فخدَّ في الأرض" (السابق: 4/ 148). ولا يوجد بناء خماسي تحت حرف الضاد، حيث ينتهي هذا الحرف بمادة (شرنض) الرباعية الأصل: "رجل شِرناض: ضَخم طويل العنق، وجمعه شرانيض" (السابق: 7/ 79).

الأساس الثالث – تقليب الأصول:

تبيّن ممّا سبق أن منهج العين هو تقسيم الكتاب إلى حروف، وتقسيم كل حرف إلى الأبنية المعروفة، ثمّ توزيع الكلمات التي تدخل تحت الحرف المقصود على الأبنية التي تدخل تحتها.

والكلمات التي تدخل تحت كلّ بناءٍ تُقلّب على الصور المستعملة في العربية، ولذا فإن جميع تلك الصور ترد مرّةً واحدةً تحت أقصى حروفها مخرجاً، ومن الأمثلة السابقة نعرف أن ما جاء مع (تعب) يرد في حرف العين، في (باب العين والتاء والباء): (عتب- تعب- تبع- بتع مستعملات) (السابق: 2/ 75- 80)، هذه التقليبات المختلفة للحروف الثلاثة يرد المستعمل منها تحت حرف العين، في باب الثلاثي الصحيح، في مادة (عتب)، لأنّ العين هي أقصاها مخرجاً، ثمّ التاء لأنها من طرف اللسان، ثمّ الباء لأنها من الشفتين، وهكذا بقيّة الكلمات الممثلة سابقاً تذكر في موضع واحد مع جميع تقليباتها المستعملة؛ لذا لم يذكر الخليل: (عبت، بعت) لأنهما غير مستعملين في اللغة.

وقد استعمل تقليب الكلمات ليكون طريقةً إلى إحصاء جميع الكلمات العربية المستعملة، وليس معناه أنّ جميع التقليبات استعملها العرب، بل منها ما استعمله ومنها ما أهمله، ولكن هذه الطريقة الإحصائية تُبرز كل الصور الممكنة ليعرف بها المستعمل والمهمل.

المعاجم التي تبعت العين:

سلك طريقة العين عدد من المعاجم، مع اختلافها في اتّباع العين في جميع المنهج أو بتغيير بعض ملامحه، لكن المنهج العامّ نستطيع أن نلمحه في تلك المعاجم، حيث إن ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً، وتقسيم كل حرفٍ إلى أحد الأبنية، وتقليب الكلمات تحت كلّ بناء، من أهمّ الأسس التي بُنيت عليها تلك المعاجم مع بعض التغييرات في بعضها؛ ولأن الترتيب الصوتي المخرجي قد لا يتقنه أي شخص، فلم يكتب لهذا النهج الذيوع بعد القرن الخامس الهجري، لما فيه من صعوبة البحث عن كلمات اللغة، واستعمالاتها، وإن صارت معاجم هذا النوع مرجعا لكثير من المعاجم اللاحقة، ومن المعاجم التي سلكت طريق العين: البارع لأبي عليّ القالي (ت:356هـ)، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهريّ (ت:370هـ)، والمحيط للصاحب بن عبّاد (ت:385هـ)، ومختصر العين لأبي بكر الزُبيديّ (ت:379هـ)، والمحكم لابن سيده (ت:458هـ).

2) معاجم الترتيب الهجائي على أول الأصول (الألفبائي العادي):

بدأ التصنيف على هذه الطريقة في وقت مبكر، حيث إنه عاصر الترتيب الصوتي الذي ابتكره الخليل، وقد كانت باكورته الأولية في كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت: 206هـ)، التي تطورت في شكلها النهائي – لاحقا – عند محمد بن تميم البرمكي (ت: 397هـ) – حسبما نرجحه من رأي الأستاذ أحمد عطار محقق الصحاح (الجوهري، 1987: 2– 7، و13– 15)[1] – الذي عاصر الجوهري (ت: 393هـ) مؤلف الصحاح، والبرمكي لم يؤلف معجما، بل أعاد ترتيب صحاح الجوهري على أول الأصول، وتابعه في هذا النظام الزمخشري (ت: 538 هـ) في "أساس البلاغة"، الذي نصَّ في مقدمته على أنه مسبوق فيه: "وقد رُتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً، وأسهله متناولاً" (الزمخشري، 1998: 1/ 2)، وقد توالت المعاجم العربية السير على هذا النهج حتى عصرنا الحاضر؛ وبخاصة أن الترتيب الصوتي فيه عسر وكلفة على الدارسين، وفيما يأتي تناول لباكورة هذه المعاجم:

معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت: 206هـ):

تعددت الآراء في سبب تسمية الكتاب بالجيم: أهي قياس على عين الخليل؟ أم غير ذلك؟ وما يرجح عندنا ما رواه الفيروزآبادي عمن نقلوا عن أبي عمرو مؤلف الجيم أن التسمية بالجيم قد تعني الديباج، وكأن قيمة الكتاب العلمية واللغوية تماثل الديباج في جوهره وارتفاع قيمته (هلال، 1991: 284)، وما يعنينا هنا ما يمتاز به الجيم من خصائص, والتي أهمها:

- ترتيب الكلمات بحسب الحروف الهجائية الألفبائية، وفق الحرف الأول من الحروف الأصلية، دون النظر إلى الزوائد – غالبا – ودون النظر إلى الحرف الثاني في الترتيب.

- الاهتمام بغريب اللغة ونادرها، ونسبتها إلى قبائلها التي تستعملها، وعدم الاعتناء بمشهور اللغة وشائعها، وهذا ما ميزه عن غيره من المعاجم.
- لم يهتم بترتيب الألفاظ بحسب أبنيتها، إذ يتناول الثلاثي والرباعي في سياق، كما يتناول المعتل مع الصحيح دون فصل.

ومما يؤخذ عليه، انعدام الترتيب الداخلي الدقيق في الباب الواحد، إذ تحشد الكلمات ذات الأصل الأول المشترك معا دون نظام منهجي، كما يخلط – أحيانا – الكلمات ذات الزوائد مع الأصلية، وترك بعض الألفاظ الغريبة دون شرح، أو شرحها بألفاظ غامضة (هلال، 1991: 287– 301)، وهذا نص تمثيلي من الجيم: "باب الراء:

تقول: قد ريم السحاب، إذا كان بطيء المرّ.

ونقول: أرزغت الركية؛ والرزغ: الطين. ما أرزغ هذا المكان! وهذا مكان رزغ، إذا كان قريباً ماؤه ظاهراً ثراه.

وقال: هذه ناب عليها رثية الكبر، وهو في رسعها المسن، منها في يد واحدة أو كلتيهما، فتراها كأنها تظلع، وليس بظلع، وهي الرثياء.

الاسترثاء: تحريك فم الرُّبع للرضاع حين ينتج.

الارتباع: العدو الشديد؛ قال: وفِيَّ إلى نِصَابِ السَّيْفِ رِيحٌ ... وما أَسْطِيعُ إن جَمَزُوا ارِتْبَاعَا ...

الراثد: المقيم؛ تقول: قد رثدوا على هذا الماء؛ أي: أقاموا، وهو الرَّثد.

الإرغاز، تقول: كلمته حتى أرغزني؛ أي: أطعمني بأن يفعل.

الرغرغة: الشرب كل ساعة.

الرَّهيش، من الإبل: الغزيرة؛ قال: إلى بازِلٍ مِنها رَهيشٍ كأنَّما ... برى لَحْم دَفَّيْها عن العَظْمِ جازِرُ

وتقول: رغلها الجدي أو الحمل، وهو أن يرضع من غير أمه مرة من هذه ومرة من هذه؛ وهو رغَّال."(الشيباني، 1974: 1/ 287).

يبدو أن واضعي المعاجم استشعروا نوعا من العسر في البحث عن كلمات اللغة وفق طريق الجيم مع أنها أسهل مما ورد في العين، فكانت هناك محاولات جادة للرقي بهذا المنهج، وجعله أكثر يسرا، وقد تُوج هذا العمل في تهذيب البرمكي لمعجم الصحاح، ثم أساس البلاغة للزمخشري، وغيرهما، وهذا ما يمثل تطويرا نهائيا في المعجم العربي، يميزه بالتيسير والمنطقية البنائية للكلمة وفق أصولها، فكان أساس هذه الطريقة: ترتيب ألفاظ اللغة على الحرف الأول فالثاني، بعد تجريدها من الزوائد، أي أن الكلمات ترتب تحت أصول الجذر اللغوي ألفبائيا، وفيما يأتي تناول لبعض معاجم هذه الطريق باختصار.

أساس البلاغة للزمخشري (ت:538هـ):

ألف الزمخشري أساس البلاغة؛ للوقوف على بلاغة القرآن، والاحتجاج لها كوجه إعجازي، ورفدها بما ورد في فصيح اللغة من الاستعمالات اللغوية الحقيقية والمجازية، واقتصر على هذا القدر من اللغة، فلم يورد إلا ما استعمل مجازا؛ لذا لم يكن المعجم موسوعيا شاملا مستقصيا لألفاظ اللغة، وقد استشهد في جملة شواهده بأشعار للمولدين، كالمتنبي وغيره (الزمخشري، 1998: 1/ 452)، ويؤخذ عليه أنه لم يفرق في بين صنوف الاستعمالات البلاغية من استعارة وكناية وتشبيه وغيرها، والنص الآتي من أساس البلاغة يوضح هذه المزايا:

" **بأس:** فلان ذو بأس، وشجاع بئيس، وقد بؤس. وبؤس بعد غناه: افتقر فهو بائس. ووقع في البؤس والبأساء. وفي أمر بئيس: شديد. وابتأس بذلك إذا اكتأب واستكان من الكآبة: (فلا تبتئس بما كانوا يعملون).

قال حسان (من البسيط): ما يقسم الله أقبل غير مبتئس . . . منه واقعد كريماً ناعم البال

بأل: هو ضئيل بئيل، وقد ضَؤُل وبَؤُل، وما به تعب من الضؤولة والبؤولة.

بأو: وهو يبأى على أصحابه بأواً شديداً إذا زُهي عليهم وافتخر. وإن فيه لبأواً وزهواً. قال حاتم (من الوافر): فما زادنا بأواً على ذي قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ

وأنشد الأصمعي (من الطويل): متى تبأى بقومك في معدٍّ ... يَقُلْ تصديقَك العلماءُ جير

بتت: بتّ عليه القضاء وبت النية: جزمها. وساق دابته حتى بتها، وبته السفر. وسكران ما يبت، وهذه صدقة بتة بتلة. وخذ بتاتك أي زادك. وأنا على بتات الأمر إذا أشرف عليه. قال أبو محمد الفقعسي: وحاجة كنت على بتاتها وسار حتى انبت أي انقطع. وانبت الرجل: انقطع ماؤه من الكبر." (السابق: 1/ 43).

مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازيّ (ت: 666 هـ)

قام الرازي باختصار صحاح الجوهريّ وتهذيبه، مع إضافة ما ارتآه مهمّاً للعالم والفقيه والمحدِّث والأديب ويكثر دورانه عندهم، مع اعتناء خاص بما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من ألفاظ، وذكر كل ما أهمله الجوهري من المصادر الثلاثية المذكور أفعالها، أو العكس، مع اجتناب شواذ اللغة وغريبها ونادرها (الرازي، 1999: 7).

المصباح المنير: أحمد بن محمد المُقْري الفيّوميّ (ت: 770 هـ)

تناول فيه غريب شرح الرافعيّ للوجيز في الفقه، مع إضافات وزيادات للألفاظ المتماثلة والمتشابهة، موضحا دلالاتها، معربا شواهدها؛ مما يلزم الأدباء، معتنيا بضبط الأفعال والأسماء، وترتيبها في أبوابها، مع شرح لبعض المسائل اللغويّة والصرفيّة والنحويّة (الفيومي، د.ت: 1/1-

2). وهذا أنموذج توضيحي منه: "(ذ ف ر) : ذَفِرَ الشَّيْءُ ذَفَرًا فَهُوَ ذَفِرٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ وَامْرَأَةٌ ذَفِرَةٌ ظَهَرَتْ رَائِحَتُهَا وَاشْتَدَّتْ، طَيِّبَةً كَانَتْ كَالْمِسْكِ، أَوْ كَرِيهَةً كَالصُّنَانِ، قَالُوا وَلَا يُسَكَّنُ الْمَصْدَرُ إلَّا لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ إذَا دَخَلَهَا هَاءُ التَّأْنِيثِ، فَيُقَالُ ذَفْرَةٌ، وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَهْجُو شَيْخًا: أَدْبَرَ ذَفَرُهُ وَأَقْبَلَ بَخَرُهُ." (الفيومي، د.ت: 1/ 208).

3) معاجم الترتيب الهجائي على أواخر الأصول (التقفية):

بعيدا عن خلاف الآراء التي دارت حول نسبة أولية هذ الترتيب، فإن الثابت تاريخيا أن أبا بشر البندنيجي (ت: 284) قد صنف معجم التقفية، واهتم فيه بإيراد فصيح اللغة، مما ورد في القرآن الكريم والشعر، وضم معه بعض الاستخدامات اللهجية، وبعض الغريب والنادر، وكان ترتيبه للألفاظ باعتبار الحرف الأخير من أصول الكلمة بابا، فكان أول أبوابه الهمزة، وآخرها الياء، أما الترتيب الداخلي للكلمات في الأبواب فلم يعتنِ بتجريدها من زوائدها، بل يذكرها كما هي، وعليه لم يهتمَّ بترتيبها بحسب أصولها الأُول، بل تتوالى المواد متداخلة، جامعُها اشتراكُها في الحرف الأخير، والبناء الصرفي (هلال، 1991: 308- 335)، وهذا واضح في حديث البندنيجي الذي ساقه محقق الصحاح أ. أحمد عطار، منكرا كون البندنيجي مبتكر طريقة التقفية: " فإذا جاءت الكلمة مما يحتاج إلى معرفتها من الكتاب نظرت إلى آخرها مما هو من هذه الحروف فطلبته في ذلك الباب الذي هي منه فإنه يسهل معرفتها إن شاء الله. وقد يأتي من كل باب من هذه الثمانية والعشرين أبواب عدة، لأنا إنما ألفناه على وزن الأفاعيل، فلينظر الناظر المرتاد وزن الكلمة في أي الأبواب هو فإنه يدرك الذي يطلبه" (الجوهري، 1987: 1/ 19).

وبناء على ما سبق يمكن القول إن إرهاصات ترتيب التقفية ظهرت عند البندنيجي، ولكنها استوت واكتملت، وأصبحت منهاجا راسخا على يد الجوهري (ت: 393هـ) في معجم تاج اللغة وصحاح العربية، المشهور بالصحاح، وعليه – أيضا – لا يصح نسبة هذ السبق للفارابي (ت: 350هـ) مصنف معجم ديوان الأدب، وخال الجوهري، إذ هو معجم قائم على أساس الأبنية، وخلطه بالتقفية – كما سنبينه لاحقا – ويقوم نهج معاجم التقفية على ترتب ألفاظ المعجم وفق أصولها المجردة ترتيباً ألفبائياً وفق الحرف الأخير باباً والأول فصلاً، بلا اعتبار للأبنية الثلاثية والرباعية وغيرها، ولا إلى نظام التقليبات، وإنما إلى الاتّفاق في الحرف الأخير، ولذا تجتمع في كلّ بابٍ الكلماتُ المنتهية بحرفٍ واحدٍ، وجاءت الأبواب على الترتيب الألفبائيّ على النحو التالي: (الهمزة، الباء، التاء، الثاء، الجيم... الياء)، ويقع تحت كل باب الكلمات التي انتهت بالحرف الذي سُمّي به الباب، لا فرق بين الثلاثي والثنائي والرباعي والخماسي، فكلّها وُضعت تحته، ورُتّبت ترتيباً داخلياً على الحرف الأول...، وفيما يأتي تناول لأشهر معاجم هذه الطريقة.

- **تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر الجوهري (ت: 393هـ)**

انتهج الجوهري الترتيب الهجائي (الألفبائي) أساسا في تنظيم معجمه أبواباً وفصولاً وما جاء من مواد لغوية فصيحة وصحيحة، تخلو – غالبا – من النادر والشاذ، فطبق الترتيب الهجائي – أول ما طبقه – على أواخر أصول الألفاظ، ثم على أوائلها، ثم على ما تلا الحروف الأولى حتى أتى على حروفها كافة. فجاءت في ثمانية وعشرين باباً، حيث جمع الواو والياء في باب واحد. وأدرج في كل باب جميع الألفاظ المنتهية بحرفه، فالباب – عنده – يشير إلى الحرف الأصلي الأخير من اللفظ؛ لذا سُمِّي نهجُه نظامَ القافية. ورتب ألفاظ كل باب منها في فصول بعدد حروف الهجاء (الألفباء)، بالنظر إلى أول حرف في الأصل المجرد، فابتدأ باب الهمزة بفصل الهمزة وأعقبه بفصل الباء ثم التاء إلى آخر الحروف، ورتب مواد كل فصل من هذه الفصول بحسب أسبقية ما بين الحرفين الأول والأخير منها في الترتيب الهجائي أيضاً، فباب الباء فصل الهمزة ضم جميع الألفاظ المنتهية بالباء والمبدوءة بالهمزة أياً كانت أبنية هذه الألفاظ، وفيه نجد: (أبب، أتب، أدب، أرب، أزب، أسب، أشب ...) (الجوهري،1987: 1/ 86– 88).

وقد لاقى الصحاح رواجا بين العلماء والعامة، وصنفت عليه مصنفات مختصرة، ومهذبة، أو مستدركة ما فاته، أو وقع فيه من خلل في ضبط بعض مواده (بحيري، 2001: 293– 296).

- **لسان العرب: ابن منظور (ت:711هـ)**

يعتبر لسان العرب أحد أزخر معاجم اللغة العربية، حيث تضمن (80.000) ثمانين ألف مادة لغوية باشتقاقاتها وتصريفاتها موثقة بالشواهد القرآنية، والحديث الشريف، والتفسير، والأشعار، والأمثال، وكثير من قواعد اللغة والنحو، وطرف من التاريخ، والسير، والأخبار، وأسماء الأعلام، والبلدان، والأماكن، والحيوان، والنبات، وغيرها من علوم العرب ومعارفهم، وأحوالهم، وإن لم يتجاوز حدود الفصاحة؛ لتقيده بمصادر لغوية، سيأتي ذكرها، هذا كله وسم اللسان بالموسوعية، والشمول، وهو مقسم إلى (28) ثمانية وعشرين بابا على عدد حروف الهجاء تبدأ بباب الهمزة، وتنتهي بباب الياء. وقد حرص ابن منظور في معجم لسان العرب على أساسين، هما(ابن منظور، 1994: 1/ 7– 8):

أولهما: الإحاطة والشمول اللغوي: بإيراد مواد اللغة الواردة في أدق المعاجم اللغوية السابقة – في رأيه – فنسقها في (لسان العرب) مصرحاً بذكر تلك المعاجم في مقدمته وهي: تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحواشي ابن بري على الصحاح، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

والآخر: دقة الترتيب، بانتهاج طريقة التقفية الواردة عند الجوهري في صحاحه؛ لما لاحظه من استحسان الناس لترتيبه، وتداولهم له واشتهاره بينهم، واقتناعه بيسرها وتحاشيها العسر والمشقة الواردة في غيره، فرتب الأبواب على أواخر أصول الكلمات "قوافيها"، والفصول على أوائلها.

- **القاموس المحيط – الفيروزآبادي (ت: 817 هـ)**

اعتنى الفيروزآبادي في مؤلفه القاموس المحيط – بخلاف لسان العرب – بالإيجاز والوفاء بالقصد من اللغة الفصيحة، وما يلزم للاستعمال اللغوي، وفي هذا يقول: "وَأَلَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ مَحْذُوفَ الشَّوَاهِدِ، مَطْرُوحَ الزَّوَائِدِ، مُعْرِبًا عَنِ الْفُصَحِ وَالشَّوَارِدِ" (الفيروزآبادي، د.ت: 27).

ومبالغة في الإيجاز استخدم رموزا حرفية للدلالة على كلمات يكثر دورانها في القاموس، وهي: (ع، د، ة، ج، م) لـ: موضع وبلد وقرية والجمع ومعروف، على الترتيب (السابق: 28).

- **تاج العروس: الزَّبيدي (1145- 1205هـ)**

ألف الزبيدي تاج العروس شرحاً للقاموس الفيروزآبادي، فأورد جميع مواد القاموس، مع تحقيقها، والتنبيه إلى مراجعها، وتفسير ما احتاج منها إلى تفسير، وتوثيقها بالشواهد التي استغنى القاموس عنها، ما جعله يرجع إلى مائة وعشرين كتاباً ذكرها في مقدمته (الزبيدي، 1965: 1/ 1-11)، وبخاصة أمهات المعاجم العربية، وفي مقدما لسان العرب، وما صنف منها حول القاموس، ومعاجم ألفاظ القرآن الكريم، والقراءات، والحديث، وكتب الطبقات والأعلام والتراجم، وشروح الدواوين والمجموعات الشعرية، وبإيراده كل هذا على أصل ما جاء في القاموس، وما استدركه عليه من كل هذه الكتب تُوِّج التاج – بحق – تاجا على جميع المعاجم العربية سعة وشمولا.

4) المعاجم المخَلّطة:

درج بعض الباحثين على تصنيف معاجم الجمهرة لابن دريد (ت: 321هـ)، والمجمل والمقاييس لابن فارس (ت: 395هـ) في مدرسة معجمية، أو مرحلة مستقلة (الخماش، 1428هـ: 98-99، وأبو سكين، 1981: 72- 87، ويعقوب، 1985: 77- 90)، وهذا – فيما نراه – مبالغ فيه؛ لأن ما جاء فيها من مواد لغوية، وما سارت عليه من منهج، لا يكاد يخرج عما جاء في العين، مع محاولات تطويرية بسيطة في تنظيم المواد اللغوية، أو إضافة بعضها استدراكا أو شرحا، ثم إن هذه المعاجم لم تسر على طريقة واحدة، ولم يكن لها صدًى ترتيبيٌّ في مناهج المعاجم اللاحقة، وإن صنفت حولها بعض المؤلفات تهذيبا أو نقدا، واستدراكا (أبو سكين، 1981: 78، ويعقوب، 1985: 83- 90)، وهذا ما سنبينه في تناولنا لهذه المعاجم أدناه:

- **جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد (ت:321هـ):**

اتخذ ابن دريد العين مرجعا أساسا له في الجمهرة، مع تغييراتٍ شكلية على منهج الترتيب، محاولةً منه تيسير طريقته المعقّدة، وجاءت تغييراته في صور ثلاث هي:

- الصورة الأولى – التقسيم إلى الأبنية: قسم المعجم إلى أربعة كتب وفق عدد حروفها الأصول، أولها: الثنائيّ المضاعف وما يلحق به، وثانيها: الثلاثيّ وما يلحق به، وثالثها: الرباعيّ وما يلحق به، وآخرها الخماسيّ وما يلحق به، وأتبع هذه الأبواب أبواباً للّفيف والنوادر. وتحت كل بناء جميع الحروف العربية، إلا أنه اعتبر الهمزة أول حروف الثنائي، وأخَّرها ودمجها مع حروف العلة في الثلاثي وما بعده، وقد توزعت الكلمات المعتلة والمهموزة في الملحقات مع المعتل والمهموز (ابن دريد، 1987/ 2 / 1086، 3 / 1274 وما بعدهما).
- الصورة الثانية – تقسيم كلّ بناء إلى حروف: قسّم كلّ بناءٍ إلى أبوابٍ مراعيا الترتيب الألفبائيّ – مخالفا العين في ترتيبه الصوتي – فبدأ بحرف الهمزة، ثم حرف الباء ثم التاء وهكذا بقية الحروف على الصورة التالية: (ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ أ ا و ي)، باستثناء كتاب الثنائي حيث اعتبر الهمزة أول الحروف، ثم رتب الكلمات تحت كل حرف على ترتيب الحرف الثاني في الألفبائية السابقة، أي اعتماد الترتيب الألفبائي الدائري، فيبدأ كلّ بابٍ بالحرف المعقود له مع ما يليه في الترتيب الألفبائيّ، فمثلاً في باب (التاء) بدأ بها مع الثاء، ثمّ بها مع الجيم، وبعد نهاية الحروف تأتي التاء مع الهمزة، ثمّ التاء مع الباء، ففي حرف الجيم مثلا، يبدأ بالأصول: جحخ (مهملة)، ثم جحد (السابق: 1/ 435)،إلى أن ينتهي إلى "جني، وجوه، وجأي"(السابق: 1/ 498).
- الصورة الأخيرة، تقليب الكلمات: وقد سار فيه على منوال العين، وتقليب الألفاظ التي تقع تحت كل حرف يرد– فقط – على الصور المستعملة في العربية، فعلى سبيل المثال (سطع): نجدها في باب الثلاثي تحت حرف السين مع الطاء، لأن السين أسبق ترتيبا ألفبائيا ثم الطاء ثم العين، ونجد معها المستعمل من تقليباتها: (سعط، طعس، عسط، عطس)، ولم يورد (طسع)؛ لأنه مهمل استعمالا (السابق: 2/ 834– 835)، ونجد (وحل) في باب الثلاثي تحت حرف الحاء مع اللام لأن الحاء أولها ثم اللام ثم الواو، أي أنها تحت (حلو)، وكل تقليباتها مستعملة، وهي: (حلو، حول، لحو، لوح، وحل، ولح) (السابق: 1/ 570 – 572).

وإن كان ابن دريد في الجمهرة صنفه على المشهور من كلام العرب، إلا أنه خالف هذا الأساس بذكره كثيرا من النوادر التي أفرد لها مكانا نهاية بعض الأبواب، وما ذكره من المعرَّبات

عن الرومية والنبطية والسريانية (ابن دريد، 1987: 3/ 1322- 1329)، مع هذا كله، يحمد له أن حفظ لنا هذا الزاد اللغوي الذي أفاد من خلفه من علماء اللغة.

- **معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت: 395هـ)**

اهتم ابن فارس في المقاييس بتجلية المعنى الأصلي المشترك في الأصل اللغوي مع تقليباته، وهو ما عبّر عنه بأنّ للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولاً تتفرّع منها فروع، وقد اتبع نهجا لهذا الهدف، بيانه فيما يأتي:

قسّم معجمه إلى كتبٍ على الترتيب الألفبائيّ، فبدأ بكتاب الهمزة، ثمّ كتاب الباء، وهكذا إلى الياء. وقد بدأ كلّ بابٍ بالحرف المعقود له مع ما يليه في الترتيب الألفبائيّ مع تقليباته المستعملة، فمثلًا في باب (التاء) بدأ بها مع الثاء، ثمّ بها مع الجيم، وبعد نهاية الحروف تأتي التاء مع الهمزة، ثمّ التاء مع الباء، على الطريقة الدائرية السابقة في الجمهرة.

قسّم كلّ كتابٍ إلى ثلاثة أبواب بحسب الأبنية: الثنائيّ المضاعف، ثمّ الثلاثيّ الأصول، ثمّ ما زاد على الثلاثيّ الأصول، ثم تقليب كل مادة، ففي كتاب الميم من بناء الثلاثي نجده رتب المواد على النحو الآتي: (مني، منح، منع، مهي، مهج، مهد ... مهن) ومعها تقليباتها المستعملة (ابن فارس، 1979: 5/ 276- 283).

وعليه فمنهاج المقاييس لا يلتقي مع الجمهرة في الأساس العام، فأساس الأول ألفبائي، والآخر بنائي، وإن كانا يتشابهان في التقليب، والترتيب الدائري الداخلي للأصول، مع اختلاف جوهري في طبيعة عرض المواد اللغوية، فالمقاييس يحاول التدليل على أن أكثر الكلمات الرباعيّة والخماسيّة منحوتة، مع إدارة الأصول اللغوية على معان مشتركة أسماها المقاييس، وتحري الفصيح، وتجنب الشاذ، والاهتمام بذكر بعض الاستعمالات المجازية، نحو ما نجده في الأصل (سلخ): "((سَلَخَ) السِّينُ وَاللَّامُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ جِلْدِهِ. ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ. وَالْأَصْلُ سَلَخْتُ جِلْدَةَ الشَّاةِ سَلْخًا. وَالسِّلْخُ: جِلْدُ الْحَيَّةِ تَنْسَلِخُ. وَيُقَالُ أَسْوَدُ سَالِخٌ لِأَنَّهُ يَسْلَخُ جِلْدَهُ كُلَّ عَامٍ فِيمَا يُقَالُ. وَحَكَى بَعْضُهُمْ سَلَخَتِ الْمَرْأَةُ دِرْعَهَا: نَزَعَتْهُ. وَمِنْ قِيَاسِ الْبَابِ: سَلَخْتُ الشَّهْرَ، إِذَا صِرْتَ فِي آخِرِ يَوْمِهِ. وَهَذَا مَجَازٌ. وَانْسَلَخَ الشَّهْرُ، وَانْسَلَخَ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ الْمُقْبِلِ. وَمِنَ الْبَابِ نَخْلَةٌ مِسْلَاخٌ، وَهِيَ الَّتِي تَنْثُرُ بُسْرَهَا أَخْضَرَ." (السابق: 3/ 94).

- **معجم ديوان الأدب للفارابي (ت: 350هـ):**

يعتبر معجم ديوان الأدب للفارابي من المعاجم التي خلطت أكثر من أصل في التصنيف، فقد قسمه إلى سبعة كتب، هي: الأسماء من الصحيح، والأفعال من السالم، والمضاعف، والمثال، وذوات الثلاثة (أي الأجوف)، وذوات الأربعة (أي الناقص)، والهمزة، والكتب الخمسة الأخيرة قُسِّم

كل واحد منها قسمين كبيرين أولهما للأسماء والآخر للأفعال، ورتب الفارابي ألفاظ كل كتاب منها على الأوزان الصرفية التي تشيع في أمثاله، متخذا الحرف الأصلي الأخير أساس الترتيب، ثم الحرف الأول، ثم ما يليه، وابتدأ في كل كتاب بالمجرد ثم المزيد في كل بناء، وقد تميزت معالجة الفارابي للمواد اللغوية في معجمه بما يأتي:

- الاهتمام بالمسائل الصرفية، مما هيأ له توزيع الأسماء والأفعال في أبوابها، وبيان خصائصها من الصحة والاعتلال والتجرد والزيادة.
- اقتصر في الأوزان المشهورة الاستعمال بما ذكره أئمة اللغة في كتبهم، وذكر الشواهد الفصيحة عليه.

ومما يؤخذ عليه:

- وعورة البحث فيه لمن لا يعرف الأوزان الصرفية للأسماء، والأفعال، وأحوالها من الصحة، والاعتلال وضبطها.
- تشتيت الصيغ والتراكيب وتفريقها في أكثر من موضع، فمرة ترد الصيغة نفسها مع الصحيح وأخرى مع المعتل، نحو: "الثَّرْبُ: شَحْمٌ قد غَشَّى الكَرِشَ والأَمْعاءَ رَقيقٌ. والثَّقْبُ: واحدُ الثُّقوبِ. والجَذْبُ: نَقيضُ الخِصْبِ" على وزن فَعْل في الصحيح(الفارابي، 2003: 1/ 93)، ثم ترد مع المعتل، نحو: "الوَثْبُ: الوُثوبُ. والوَجْبُ: الجبانُ. والوَطْبُ: سِقاءُ اللَّبَنِ. ورَجُلٌ وَغْبٌ، أي: ضعيفٌ جَبانٌ. والوَغْبُ: الجَمَلُ الضَّخْمُ الشَّديدُ. والوَغْبُ: سَقَطُ الْمَتاعِ. ووَقْبُ العُنُقِ: نُقْرَتُها. وكذلك الوَقْبُ في الجَبَلِ: النُّقْرةُ يَجْتَمِعُ فيها الماءُ. والوَهْبُ: الهِبةُ. ووَهْبٌ: من أسماءِ الرِّجالِ." (السابق: 3/ 204).
- لم يلتزم – أحيانا – بنهج مراعاة آخر الأصل ثم أوله في الترتيب، نحو:"القَرْو: مِيلغُ الكلْب. والقَرْو إناءٌ يُنْبَذُ فيه. والقَرْوُ: القَدَحُ. ويُقالُ: تَرَكْتُ الأَرضَ قَرْواً واحداً، إذ طبَّقَها المطرُ. والْمَرْوُ: حِجارةٌ بِيضٌ بَرّاقَةٌ تكونُ فيها النّارُ. والْمَرْوُ: ضَرْبٌ من الرَّياحين. الحَشْوُ: صِغارُ الإبلِ. والخَشْوُ: الحَشَفُ. القَعْوُ: الذي تَجْري فيه البَكَرةُ إذا كان من خَشَبٍ. ورجُلٌ لَعْوٌ، أي شهوان حريصٌ. والنَّعْوُ: التَّفِرةُ من البعيرِ. صَعْوُهُ مَعَكَ: أي: مَيْلُهُ. والفَغْوُ: الفاغِيةُ. صَفْوُ الشَّيْءِ: صِفْوتُه. والعَفْوُ: فضْلُ المالِ. والعَفْوُ: لغةٌ في العِفْو، وهو الجَحْشُ. والعَفْوُ: الأَرضُ الّتي لم تُوطَأْ"(السابق: 4/ 4).

ويمكن أن نلحظ على المعاجم المخلطة أمورا هامة، منها:

- أنها لم تجتمع على منهج واحد يجمعها في التصنيف.
- لم تقدم جديدا في طبيعة المادة اللغوية المصنفة والمدرجة فيها.

- يبدو أن تنوعها التصنيفي أوحى لأئمة اللغة المعاصرين – آنذاك – واللاحقين الإفادة من ذاك التنوع، بالاعتماد على صورة واحدة غير مخلوطة بغيرها من طرق الترتيب، فمنهم من اهتم بالتصنيف وفق أوائل الأصول فحسب، ومنهم من اهتم بأواخرها.

ثالثا – مرحلة المعاجم الحديثة:

تعدّدت المعاجم العربية الحديثة من حيث المنهاج والمادة، خاصة أن أعلام اللغة المعاصرين اطلعوا على تجارب الغرب المعجمية، ثم إن طبيعة العصر والتطور المتلاحق في شتى ميادين الحياة أوجد حاجة للتعبير عن كل مستَجَدٍّ مستحدث، لم تواكبه المعاجم التراثية، وهي على ثرائها، وما وثَّقته من لغة، كانت بحاجة لشيء من المراجعة، والتطوير في بعض جوانبها، ومن ذلك:

- أنها وقفت باللغة عند حدود القرن الرابع الهجري، مما عرف بزمن الاحتجاج.
- تعدد مناهجها بين صوتي، وتقليبي، وأواخر الأصول، وأولها، أو اعتماد بعضها على أكثر من طريقة للتصنيف، مثل ما رأينا في ديوان الأدب، والمقاييس، والجمهرة.
- اضطراب بعضها في الترتيب الداخلي للمواد اللغوية، فقد يختلط المجرد بالمزيد، والثلاثي بغيره بدون ترتيب.
- تحريف بعض المواد اللغوية أو تصحيفها، أو عدم ضبطها بالشكل الصحيح.
- تفاوتها في حشد الشواهد اللغوية، وأحيانا حشد الألفاظ النادرة والغريبة، التي لم يعد لها استعمال قديما وحديثا.

هذا وغيره جعل الحاجة ماسة لتوفير معاجم تراعي روح العصر، وتسعف أهل اللغة بما يلبي مطالب الاستخدام اللغوي المعاصر، وفيما يأتي تناول لأهم الجهود المعجمية الحديثة، وخصائصها:

- **الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق (ت: 1884م):**

صنف الشدياق كتابه هذا انتقادا للمعاجم القديمة في طريقة تناول لألفاظ اللغة وترتيبها، وشرحها وبخاصة القاموس المحيط – أولا– ورغبته– ثانيا– في الإسهام في العمل المعجمي بكتاب "في اللغة يكون سهل الترتيب واضح التعريف، شاملا للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب وكل من اشتهر بالتأليف، سهل المجتنى داني الفوائد، بين العبارة وافى المقاصد" (الشدياق، 1299هـ: 3)، وما يهمنا من هذا كله الانتقادات التي وجهها للقاموس والمعاجم العربية القديمة، وحرص على تلافيها في كتابه، كما أفادت منها المعاجم الحديثة(السابق: 7– 8)، ومن أهم الانتقادات:

- وقوع الخلل في الترتيب الداخلي، من حيث خلط الأفعال اللازمة مع المتعدية، وخلط الثلاثي مع غيره، وخلط المشتقات وتشتيتها.
- نقص بعض مواد اللغة، كذكر المصدر دون فعله، أو العكس، أو ذكر بعض الألفاظ الاصطلاحية وإهمال بعضها.
- عدم التزام طريقة واحدة في تناول المواد اللغوية، فمرة تبدأ بالفعل، وثانية بالمصدر، وثالثة باسم الفاعل، وغير ذلك.
- القصور في شرح بعض المواد من حيث تعدي الفعل ولزومه، أو تقديم المعاني الحقيقية على المجازية، أو تعريف لفظ بآخر.
- الوقوع في التكرار، أو الفضول، والحشو، والمبالغة، واللغو، أو الخطأ، والتحريف، والتصحيف أو مخالفة أئمة اللغة، وخلط الفصيح بالضعيف والراجح بالمرجوح وترك المشهور.

- **محيط المحيط لبطرس البستانيّ، (ت: 1883م):**

اعتمد البستانيُّ القاموسَ المحيطَ للفيروزآبادي أساساً لمادة معجمه، وأضفى عليه تعديلات أساسية هامة تلائم العصر الحديث، وتراعي مطالبه، ومن ذلك (أبو سكين، 1981: 121- 122، ويعقوب، 1985: 139- 142):

- هذب مواد القاموس، ونظمها وفق أوائلها وثوانيها إلى آخرها.
- أضاف ما فات الفيروزآبادي من مفردات عثر عليها في معاجم أخرى، وأدخل في متنه شواهد من القرآن الكريم والحديث والشعر لشعراء قدماء ومولدين، وبعض الألفاظ الدارجة، والمصطلحات العلمية والفلسفية والفنية.
- صاغ التفسيرات صياغة تلائم روح العصر الحديث، مع المحافظة – غالبا – على عبارات القاموس، مع تصرفه بالحذف والإضافة، نحو حذف أسماء الأماكن والأشخاص والقبائل والمشتقات القياسية وبعض اللغات.
- اهتم بضبط تصريف الأفعال، وضبط الأسماء بالحركات، مع التصريح النص على الحركات، واستعمل بعض رموز القاموس، نحو: (ج) للجمع.

وقد كان لهذا المعجم أثره في كثير من المعاجم المعاصرة، سواء في نهجه، أو تناوله لمواد اللغة وشرحها، كأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوريّ الشرتوني (ت: 1912م)، والبستان لعبد الله العلايلي (ت: 1930م)، والمنجد للويس المعلوف (ت: 1946)، وسنفرد له جانبا.

- **المنجد للويس المعلوف (ت: 1946م):**

صدر سنة 1908م، وقد اتخذ محيط المحيط للبستاني أساسا، مع اختصار متنه، والسير على نظامه، وفق الترتيب الألفبائي العادي، ولكنه زاد عليه، في أمور أهمها:

- الرجوع لمعجم تاج العروس للزبيدي، وإكمال كثير من المواد من خلاله، وإضافة الكثير من المفردات والمعاني المعاصرة، والمصطلحات العلمية والفنية الحديثة، ففي مادة (أمر) (المعلوف، 1986: 17) نجده يتناول الفعل الثلاثي ومشتقاته، ثم المزيد بالهمزة (آمر) ومشتقاته، والمزيد بالهمزة والتاء (ائتمر) وأغلب الاستعمالات العصرية فيه، نحو: (مؤتمر دولي، ثقافي، علمي، سياسي)، وفي مادة (أمن) (السابق: 18) بعد ذكر فعله المجرد والمزيد والمشتقات والاستعمالات، يذكر (الأمنيوم) كعنصر طبيعي، ومنه المركب (سلفات الأمنيوم) التي تعتبر سمادا زراعيا ورمزه الكيميائي: (NH_4).
- استخدم كثيرا من الاختصارات، نحو (فا) لاسم فاعل، و(مف) لاسم مفعول، و(مص) للمصدر، و(ج) للجمع، و(جج) لجمع الجمع، و(م) للمؤنث، و(مث) للمثنى.
- اهتم بجودة الإخراج الفني، من حيث تقسيم الصفحة إلى أعمدة، وإبراز أصول المواد اللغوية ومشتقاتها بالألوان، ودعمه بالصور والرسومات التوضيحية.

وقد تصدى للمنجد كثير من الباحثين، فوقفوا على سقطاته، ونوهوا لما وقع فيه من خطأ، أفادت منها دار النشر، وتداركتها وأدخلت عليه تحسينات كثيرة – في الطبعات التالية، إذ اشتملت طبعاته الحديثة زيادات في متنه الأصلي الذي وضعه المعلوف، حيث تضمنت تعديلات وتصويبات لبعض الأخطاء اللغوية الوارد فيه وألحق به معجم للآداب والعلوم حوى تراجم لأعلام الشرق والغرب.

- **متن اللغة . أحمد رضا العاملي (ألفه 1958)**

أحمد رضا العاملي، عضو المجمع العربي في دمشق – سابقاً – كُلف من مجمعه بتأليف معجم متن اللغة، مراعيا قرارات المجمع في تنظيم المعجم العربي المعاصر، ومن خصائصه:

- ترتيب مواده ترتيباً الفبائيا دقيقاً مراعيا أول الأصول فثانيها إلى آخرها، مع ضبط الترتيب الداخلي، فقدم الأفعال على الأسماء، وبدأ بالمجرد من الأفعال فرتبها بحسب تسلسل أبوابها الستة المعروفة، ورتب المزيد منها ترتيباً خاصاً، وفي الأسماء قدم الثلاثي المجرد، ثم المضاعف الرباعي.
- الاستعانة في شرح المواد اللغوية بمعاجم الأقدمين المطولة بدءا بلسان العرب ثم القاموس وشرحه التاج، ثم أساس البلاغة للزمخشري، ومختار الصحاح للرازي، والمصباح المنير

للفيومي، وتجنب المعاجم الحديثة؛ كيلا تتسرب أخطاؤها إلى صنيعه، مع الإفادة كثيراً مما فيها من مظاهر التنظيم.

- الخلو من الشوائب كاختلاف العبارات، أو غموض شرحها، أو تكرارها، والحرص على ذكر المجاز إلى جانب الحقيقة.
- الإشارة في الهامش إلى العامي الذي يمكن رده إلى الفصيح، وإدخال الألفاظ المستحدثة والصيغ التي أقرها كل من المجمعين اللغويين في القاهرة، ودمشق (الخماش،1428هـ: 103).

معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة

لمجمع اللغة العربية القاهرة إنتاج معجمي زاخر في اللغة وعلوم القرآن، والعلوم والفنون المتنوعة، وتعتبر المعاجم اللغوية التي أصدرها مجمع اللغة العربية القاهري من أرقى المعاجم المعاصرة، وأدقها؛ لأمور أهمها:

- أنها تمثل جهد مؤسسة علمية رائدة، إذ إن التأليف لم يقم به فرد واحد، بل جماعة مختارة من علماء العرب المعاصرين.
- الإفادة من أغلب التأليف المعجمي العربي قديما وحديثا، والإفادة من التجارب المعجمية الغربية.

ومن أهم المعاجم اللغوية التي أخرجها المجمع: الكبير، والوسيط، والوجيز الذي يعتبر مختصرا عن الوسيط، وسنتناول بالدرس المعجمين الوسيط والكبير.

المعجم الوسيط:

كانت الطبعة الأولى لهذا المعجم عام 1960م، وقد صدرت طبعته الثالثة عام 1985م وهي التي اعتمدنا عليها، وهي تزخر بزيادات وإضافات وتصويبات، ومراجعات؛ لا توجد في سابقاتها، جريا على سنة مواكبة التطور، ويتميز هذا المعجم بما يأتي:

- اعتماد الترتيب الألفبائي للأصول اللغوية، والاهتمام بتصنيف مواد كل باب، حيث يقدم الفعل على الاسم، والمجرد على المزيد، واللازم على المتعدي، والمعنى الحقيقي على المجازي، ففي مادة جرى، نجد على التوالي: المجرد: جرى، ثم المزيد بالهمزة: أجرى، ثم بالألف: جارى، ثم بالتضعيف: جرَّى، ثم بالتاء والألف: تجارى، ثم بالهمزة والسين والتاء: استجرى، ثم ألحق بها مشتقاتها(المجمع، 1985: 1/ 124).
- تخفف من الشواهد التي غمرت المعاجم التراثية القديمة، واكتفى بما تدعو الحاجة إليه.
- تخفف من المفردات التي هُجرت في الاستعمال العصري الحديث.

- أدخل كثيرا من المفردات التي تطلبها العصر، ولم توجد في المعاجم القديمة، ورمز لها برموز خاصة، وهي:(ج): جمع، (ـُ): بيان ضبط حركة عين المضارع، (و.): تكرار الكلمة لمعنى جديد، (مو): مُوَلّد "لفظ استعمل قديما بعد عصر الرواية"، (مع): مُعَرّب "لفظ أعجمي غيّرت العرب لفظه"، (د): دَخيل "لفظ أجنبي دخل العربية دون تغيير كأكسجين، (مج): لفظ أقره مجمع اللغة العربية، (محدثة): "لفظ استعمله المحدثون وشاع في لغة الحياة العامة.
- يضم هذا المعجم أكثر من سبعة آلاف مادة، وأكثر من أربعمائة وخمسين ألف كلمة، وستمائة صورة، في أكثر من ألف ومائة صفحة.

المعجم الكبير:

من أهداف مجمع اللغة العربية تصنيف معجمٍ يتتبّع تاريخيا معاني الكلمة عبر عصور العربية، ويقف على معانيها المتعددة، وما طرأ عليها من تطورات، وقد جاء المعجم الكبير تلبيةً لهذا الهدف، بعد أن توقف تأليف المعجم التاريخي الذي بدأ بتأليفه العالم الألماني فيشر المنتسب للمجمع، منذ أربعينيات القرن العشرين، فحال دون إصداره وفاة فيشر بعد الحرب العالمية الثانية، وضياع كثير من جزازات ذاك المعجم، وقد صدر منه حتى عام (1429هـ - 2008م) ثمانية أجزاء من حرف الهمزة حتى حرف الذال، وما يزال العمل مستمرا بجهود لجنة المعجم في المجمع.

وقد توخى المجمع مراعاة ثلاثة جوانب رئيسة من تأليف المعجم الكبير، هذا إيجازها:

(أ) جانب منهجي يقوم على دقة الترتيب: إذ اختار الترتيب الهجائي (الألفبائي) ابتداء من الحرف الأصلي الأول من الألفاظ إلى آخر حرف فيها، موافقا ما جاء في المعجم الوسيط، أما الألفاظ الدخيلة (غير العربية) التي لم يشتق العرب منها فقد اعتبرت جميع أحرفها أصيلة، فلفظ مثل (إستبرق) وضع في الهمزة وما تلاها من أحرف اللفظ بحسب ترتيبها، وقد رتبت كل مادة ترتيباً دقيقاً شاملاً فقسمت إلى ستة أقسام هي (المجمع، 1970: 1/ المقدمة ز - س):

1. نظائرها في اللغات السامية، بحيث يذكر ما يقابل الأصل العربي إن وجد في اللغات السامية.
2. معانيها الكلية أو العامة، متدرجة من الأصلي إلى الفرعي، ومن الحسى إلى المعنوي، ومن الحقيقي إلى المجازي.
3. الأفعال، بتقديمها على الأسماء، والثلاثي على الرباعي، والمجرد على المزيد، واللازم على المتعدي، مع العناية بضبط عين المضارع الثلاثي، ومراعاة أحوال الإبدال والقلب.
4. مصادرها، حيث رتبت من الثلاثي فالرباعي فما بعده.
5. مشتقاتها، إذ لم يذكر القياسي منها؛ إلا إذا جاءت على غير بابها، أو لمعنى زائد.
6. الأسماء، بذكر المشتق والجامد، بعد الأفعال مباشرة على الترتيب الألفبائي.

ولم يهمل من هذه الأقسام إلا ما ليس له وجود في اللغة، والتزم في ترتيب المعاني والأفعال والأسماء بما التزم به في المعجم الوسيط من تقديم المعاني الأصلية على الفرعية والحسية على المعنوية، وتقديم المجرد من الأفعال على المزيد واللازم على المتعدي، ورتبت الأسماء بحسب أسبقية أوائلها في الترتيب الهجائي. كما رتبت الشواهد بحسب قدمها، واستخدم الرموز الدالة بغية الإيجاز، وفسّر المواد بعبارات واضحة موجزة دقيقة.

(ب) جانب لغوي: وذلك بالإحاطة بما يأتي (المجمع، 1970: 1/ المقدمة ف – ص):

1. حشد المواد اللغوية في جميع الأزمنة والأمكنة التي عاشت فيها بالاستعانة بالمعجمات وكتب العلم والأدب والتاريخ.
2. تكملة المواد اللغوية التي لم توردها الكتب القديمة، باشتقاق بعض المواد التي سمعت طائفة من اشتقاقاتها ولم تسمع بقيتها، والاشتقاق من الجامد، إذا اقتضت الضرورة، نحو: أَكسَد، من الأُكسيد، وأيَّن: من الأيونات، وإدخال المُعَرَّبات الحديثة.
3. تدعيم المواد اللغوية بالشواهد المتنوعة، من القرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف، والنصوص النثرية، والأشعار القديمة والحديثة؛ تأكيدا لوحدة اللغة، وتكاملها.

(ج) جانب موسوعي، وهذا يتضمن (السابق: 1/ ق – ر):

1. مصطلحات العلوم والفنون، وألفاظ الحضارة، وما شاع استعماله في الحياة العامة، والأوساط العلمية.
2. أعلام الأماكن والبلدان التي تحظى بشهرة أو قيمة تاريخية، وذكر أعلام المشاهير من الأشخاص، وتصنيف الأعلام العربية على أصولها، والأجنبية بحسب نطقها، مع ذكر سنة الوفاة والشهرة.
3. أسماء الحيوانات والنباتات، وفصائلها، وتوضيحها بالصور والرسومات.

وفيما يأتي نص توضيحي من الجزء الخامس الخاص بحرف الحاء (المجمع، 2000: 5/ 479 – 480):

"ح ف ز: في العبرية hafaz (حَافَزْ): أسرع، قفز.

1– الدفع، 2– الحث والاستعجال. قال ابن فارس: "الحاء والفاء والزاء كلمة واحدة تدل على الحث، وما قرب منه".

* حفَز في جلوسه ـِ حفْزا: أراد القيام والبطش بشيء. و ـ فلانا: حثه، وأعجله، قال امرؤ القيس يصف سرعة ناقته: عدوًا ترى بَينَه أبواعا *** تَحْفِزُه أكرعٌ عِجالُ"

5) المعاجم الألفبائية النطقية:

ظهر الترتيب النطقي عند العرب قديما في كتاب التعريفات للجرجاني (ت: 816هـ)، وهو خاص بمصطلحات بعض العلوم، ولكن لم يكتب لهذا النهج الذيوع والشهرة؛ لاقتصار تلك المؤلفات على موضوعات خاصة، ولاشتهار المعاجم الأخرى على أوائل الأصول وأواخرها، ولأنه يشتت المواد اللغوية، وقد عاد للظهور بداية القرن العشرين على يد الشيخ محمد البخاري المصري (ت: 1914م) الذي أعاد ترتيب اللسان والقاموس وفق الألفبائية النطقية، مهملا تجريد الكلمات واشتقاقاتها، واعتمد هذه الطريقة بعض اللغويين اللبنانين (يعقوب، 1985: 164- 165): كعبد الله العلايلي في المرجع، وفؤاد البستاني في المنجد الأبجدي، وخليل الجر في معجم لاروس، والرائد لجبران مسعود، وهو ما سنفرده بالدراسة.

الرائد لجبران مسعود:

توخى جبران في الرائد التيسير في استخدام المعجم العربي، وقد ارتأى هذا التيسير في الطريقة الألفبائية النطقية، وقد حدد منهجه في نقاط أهمها:

- تصنيف الكلمات بحسب نطق حروفها الأول، فالثاني، فما يليه، دون مراعاة الجذر اللغوي، فنجد الكلمات: أسد، وأسدى، والأسدران، وأسدس، وأسدف، وأسدل، وأسديّ (مسعود، 1981: 1/ 131)... معا تباعا.
- اعتبار همزة الوصل كالقطع، والحرف المشدد حرفا واحدا، والتاء المربوطة كالمفتوحة، فترد عنده الكلمات: الأذب، اذَّبح، أذبل، اذَّخر، الإذخر، الإذخرة (السابق: 1/ 70)... متوالية.
- استخدام الرموز المختصرة، نحو ما مر في محيط المحيط للبستاني: نحو (فا) لاسم فاعل، و(مف) لاسم مفعول، و(مص) للمصدر، و(ج) للجمع، و(جج) لجمع الجمع ...
- الاهتمام الإخراج الفني، كتقسيم الصفحة إلى عمودين، وإبراز الكلمات المشروحة باللون الأحمر، ومع هذا لم يدعم الكلمات المشروحة بالصور التوضيحية.
- تبسيط شرح الكلمات، وتنظيم المعاني؛ بناء على شيوعها، أو أوليتها.
- إضافة المفردات والمعاني الحديثة العصرية، وبخاصة مصطلحات العلوم والفنون.

ومع هذا كله فإن هذه الطريقة ما تزال غير شائعة، وبعض المعاجم التي ألفت عليها إما لم تكتمل كالمرجع للعلايلي، وبعضها اقتصرت طبعاته على قطر معين، أو لم تتعدد لقلة الطلب، كالمنجد الأبجدي لفؤاد البستاني؛ إضافة للمآخذ التي أخذت عليها، وقللت من ذيوعها، ومنها:

- قطع الصلة بين أجيال العرب المعاصرين، والمعاجم التراثية.
- تشتيت المواد اللغوية في أكثر من موضع، وتكرار معانيها، وبخاصة المشتقات التي تتقارب دلالاتها.

- إضعاف المهارة اللغوية عند الدارس، فطريقة الجذر اللغوي الأصلي فيها تدريب على مهارات لغوية متعددة: كالتصريف والاشتقاق، وغيرها من مهارات.

الخلاصة

- الرسائل اللغوية التي تمثلت في رسائل الموضوعات الخاصة كالخيل والنخيل والمطر، وغيرها، ورسائل القضايا اللغوية كالهمز المقصور والممدود وأبنية الأفعال والمصادر وغيرها، تعتبر أساسا اعتمدت عليه المعاجم اللغوية اللاحقة، من ناحية، وتزامنت مع ظهور أول المعاجم اللغوية العربية، كالعين للخليل، والجيم لأبي عمرو الشيباني.
- تمثل الجهد المعجمي التراثي العربي في اتجاهين: معاجم المعاني أو الموضوعات، ومعاجم الألفاظ.
- معاجم المعاني والموضوعات، وأساسها الرسائل اللغوية، وأشهرها المخصص لابن سيده، وبصرف النظر عن مقارنتها بنظرية الحقول الدلالية، فهي تشترك معها في الأساس العام التجميعي لألفاظ اللغة التي تدور حول معنى مشترك، وإن كان كثير من تلك المعاجم يحتاج لضبط تصنيف الأبواب الداخلية فيها، ووقوفها باللغة عند حدود زمانية ومكانية معينة، فهي تعتبر إنجازا رائدا في زمانها.
- معاجم الألفاظ اتخذت مناهج عدة، فمنها الصوتي وباكورته العين للخليل، ومنها الترتيب الألفبائي بحسب أول الأصول الذي تدرج تطوره من الجيم لأبي عمرو الشيباني، إلى البرمكي مهذب صحاح الجوهري، ثم أساس البلاغة للزمخشري، ومنها الترتيب الألفبائي بحسب أواخر الأصول، الذي تدرج تطوره من معجم التقفية للبندنيجي، إلى تاج اللغة وصحاح العربية للأزهري، وتوالت على منواله أمهات المعاجم التراثية كاللسان والقاموس والتاج، ومنها ما خلط أكثر من أساس في تصنيف المعجم، نحو الجمهرة الذي قام على أساس الأبنية ثم الترتيب الألفبائي الدائري، والتقليبات، والمجمل والمقاييس لابن فارس الذي صنفهما على أساس الترتيب الألفبائي الدائري، ثم الأبنية فالتقليبات، ومعجم ديوان الأدب الذي صنفه الفارابي في أساس أبنية الأسماء والأفعال، مع ترتيب الكلمات داخلها وفق أصولها الآخر فالأول ثم ما يليه.
- أمام الجهد المعجمي التراثي العظيم لا يملك العربي الأصيل إلا أن يجل ذلك العمل وأصحابه، ومع هذا لا يرقى عمل إلى الكمال، ولعل ما وقعت فيه المعاجم التراثية من هنات: كوقوفها باللغة عند حد معين، ولم تراعِ سنة التطور، ثم تفاوتها في دقة الترتيب الداخلي في أبوابها، واحتياج المواد اللغوية الداخلية إلى مراجعة وضبط وتهذيب؛ أوجد حاجة ماسة في العصر الحاضر لإعادة النظر في التأليف المعجمي، فقامت دراسات جادة استهدفت تطوير المعجم

العربي، وجعله أيسر تناولا، وأسهل مأخذا، ومواكبا لتغيرات العصر، مشتملا على ما تتطلبه الحياة المعاصرة من ألوان التعبير.

- يعتبر الجهد المعجمي لمجمع اللغة العربية من أرقى الأعمال المعجمية المعاصرة، وبخاصة في المعجمين الوسيط والكبير؛ لما امتازا به من الترتيب الدقيق لمواد اللغة، وتحررها من قيود الزمان والمكان في الاستشهاد اللغوي، وإدخال مصطلحات العلوم والفنون مما تتطلبه الحياة المعاصرة، واستخدام وسائل إيضاحية متنوعة كاللوحات والصور والرسومات.

التوصيات:

- إعادة دراسة جوانب واسعة من الجهد المعجمي العربي، وبخاصة الرسائل اللغوية، ومعاجم المعاني، وبعض معاجم الألفاظ، والمعاجم المخلِّطة، والكشف عن خصائصها ومميزاتها ومناهجها، والموازنة بينها.
- الإفادة من الظواهر اللغوية التي تخصصت بها بعض المعاجم، في إثراء اللغة العربية المعاصرة، وجعلها مواكبة لمستجدات الحياة، وبخاصة في المعاجم التي اهتمت بالأبنية، والتقليبات، وبعض نوادر اللغة، والاستخدامات المجازية فيها.
- إعادة ترتيب المعاجم العربية القديمة وفق أوائل الأصول؛ وجعلها أيسر تناولا.
- بما أن الجهد الفردي عرضة للزلل، فلا بد أن يتصدى للتأليف المعجمي فِرقٌ جماعية، يصدر عنها المعجم العربي المأمول، وخير دليل على هذا المعاجم التي ألفها مجمع اللغة القاهري، فما زلنا في حاجة لتأليف المعاجم المتخصصة، والمعاجم التاريخية، والمقارنة، وغيرها مما يلزم شئون الحياة المعاصرة.

فهرس المصادر والمراجع:

1. بحيري، سعيد حسن. (1421هـ – 2001م). المدخل إلى مصادر اللغة العربية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
2. بروكلمان، كارل .(1983م). تاريخ الأدب العربي، ج4، ترجمة: سيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، ط3، القاهرة، دار المعارف.
3. الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1407 هـ – 1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت، دار العلم للملايين.
4. جاد الرب، محمود. (1413هـ – 1992م). نظرية الحقول الدلالية، والمعاجم المعنوية عند العرب، *مجلة مجمع اللغة العربية*، القاهرة، ج 71، ص ص: 213 –257.

5. الخليل، بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن .(د.ت). العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة الهلال.
6. الخماش، سالم. (1428هـ). المعجم وعلم الدلالة، جدة، جامعة الملك عبد العزيز.
7. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. (1987م). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين.
8. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1420هـ – 1999م). مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية – الدار النموذجية.
9. الزَّبِيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني. (1385هـ– 1965م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء.
10. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1419هـ – 1998م). أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية.
11. أبو سكين، عبد الحميد محمد. (1402هـ– 1981م). المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ط2، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
12. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. (1417هـ – 1996م). المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
13. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1418هـ – 1998م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية.
14. الشدياق، أحمد فارس أفندي. (1299هـ). الجاسوس على القاموس، قسطنطينية، مطبعة الجوائب.
15. الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار.(1394هـ – 1974م). الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
16. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين. (1424هـ – 2003 م). معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.
17. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي. (1399هـ – 1979م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر.

18. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب.(1426هـ - 2005م). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
19. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
20. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم. (1419هـ - 1999م). المقصور والممدود، تحقيق: د. أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة، مكتبة الخانجي.
21. مجمع اللغة العربية. (1985م). المعجم الوسيط، ط3، القاهرة، مجمع اللغة العربية.
22. مجمع اللغة العربية. (1970م). المعجم الكبير، ج1، القاهرة، مطبعة دار الكتب.
23. مجمع اللغة العربية. (2000م). المعجم الكبير، ج5، القاهرة، مجمع اللغة العربية.
24. مسعود، جبران. (1981م). الرائد، ط4، بيروت، دار العلم للملايين.
25. المعلوف، لويس. (1986م). المنجد في اللغة والأعلام، ط28، بيروت، دار المشرق.
26. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري. (1414هـ - 1994م). لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.
27. هلال، حامد عبد الغفار، (1411هـ - 1991م). مناهج البحث في اللغة والمعاجم، القاهرة، مطبعة الجبلاوي.
28. يعقوب، إميل. (1985م). المعاجم اللغوية العربية، بداءتها وتطورها، ط2، بيروت، دار العلم للملايين.

---

(1) (ينظر مقدمة المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، وهو يذكر أنه اعتمد على أوراق مخطوطة للبرمكي، كأحد مصادر تحقيقه للصحاح: الجوهري، 1987: 1 / 28 - 29.)